الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :.....

رقم تسجيل ط 1: M20125088548

رقم تسجيل ط2: :M201535091548

إعداد الطالبتين:

كصبر شيماء

شايب ربي خديجة

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

صورة إفريقيا في الرّواية الجزائرية

" رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع "

للصدّيق حاج أحمد الزيواني - أنموذجا -

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اللقب والاسم	الرتبـــة	الجامعة	الصفة
صالحي ابراهيم	أستاذ مساعد ب	جضامعة المسيلة	رئيسا
هني لخضر	أستاذ محاضر (ب)	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
بوديسة بولنوار	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440/1441هـ/ 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الشكر لله تعالى في البدء والمنتهى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى

يسعدنا في مستهل هذا العمل أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير والاحترام،

إلى الأستاذ المشرف الدكتور : "هنـــي لخضـــر" متمنين أن يجعله الله خير ذخر

لأهل العلم والمعرفة، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة المناقشين ولكل

أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة محمد بوضياف –المسيلة ونتقدم بجزيل

الشكر لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل.

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلـــــــى أعز وأغلى إنسانة في حياتي التي أنارت دربي بنصائحها وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة إلى من زينت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح إلى من كانت سببا في مواصلة دراستي إلـــــــى من علمتني الصبر والاجتهاد.

أمي (لعمري زينب)

إلـــــــــــى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة والصبر إلى أبي العزيز (أحمد كصبر).

إلـــــــــى رفيق دربي وسيدي في الحياة زوجي.

إلـــــــى إخوتي وأخواتي (يونس ، طاهر ، شعيب ، فاروق ، خولة ، روميصا).

إلـــــــــى إبنة الخال وأختي وحبيبتي : فاطمة الزهراء لعمري.

إلـــــــــى صديقتي العزيزة : رزيقة بن غانم

إلـــــــــى جميع الأهل والأقارب.

إلـــــــــى كل الأشخاص الذي أحمل لهم محبة والتقدير .

إلـــــــــى كل من نسيه القلم وحفظه القلب .

شيمـــــــــــاء

مقدمـــــــــــــة

مقدمة:

تعد الصورة الفنية التي يشعر بها القارئ صورة خاصة يبدعها الراوي في قالب لغوي خاص استيعابا للواقع ومتغيراته، فهي الوعاء والإناء التي تصب فيه الأفكار ورغبات وأحاسيس خاصة في علاقته بالرواية في الشخصية والحدث والزمن زيادة على ذلك يبرز الطابع الرئيسي طابعا جغرافيا ثقافيا اجتماعيا.

ونظرا لهذه للأهمية التي حظي بها هذا الجنس الأدبي رأينا أن نسلط الضوء على لون من ألوانه ألا وهي الرواية الجزائرية التي أصبحت اليوم تسرد الواقع الاجتماعي والثقافي في المجتمع .

حيث تمثلت دراستنا في صورة إفريقيا في الرواية الجزائرية متخذين رواية كاماراد رفيق الحيف الضياع نموذجا لأحمد الزيواني واخترنا نموذج رواية كاماراد كان تحت دوافع من أبرزها:

- اهتمامنا المتزايد العلمي بالجنس الروائي .
- قلة الدراسات والأبحاث التي تناولت رواية كاماراد لأحمد الصديق.
- رغبتنا في تقديم موضوعا جديد ودراسة جديدة كالتطرق لصورة إفريقيا من خلال الرواية، مما طرح الكثير من التساؤلات، يمكن إجمالها في:
- كيف صور الروائي إفريقيا في رواية ؟
- هل الرواية أعطت صورة كاملة عن إفريقيا في رواية ؟
- ما هي أبرز المدلولات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تقدمها الرواية ؟

أما عن منهج دراسة، فقد حاولنا توظيف المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف المنهج الثقافي؛ لأنهما يناسبان رصد إفريقيا من كل جوانبها تصويرا ثقافيا وفنيا، وقد قمنا بتقسيم خطة البحث إلى مقدمة وإلى فصلين وخاتمة .

الفصل الأول: صورة إفريقيا جغرافيا، تمثلت في البيئة والمكان، الذي عاشه بطل الرواية مما أدى إلى هروبه من الواقع الإفريقي إلى الهجرة خارج الوطن.

الفصل الثاني : تناولنا الصورة الثقافية، متلمسين ثقافة الحياة الإفريقية من ناحية العادات والتقاليد، والجانب الاجتماعي والفكري ومنطلقات الحياة التي يعيشون من أجلها، مع توصيف أكثر للحياة الاجتماعية من معاناة وفقر واستعمار، وأسباب الهجرة ودوافعها .

ونهاية البحث خاتمة بعد خلاصة النتائج التي استوحيت من هذه المقاربة من خلال صورة إفريقيا في رواية كماراد واعتمدنا على مجموعة من مصادر أهمها:

الرواية كاماراد رفيق الحيف والضياع لأحمد الزيواني

واعترضتنا صعوبات أثناء دراستنا المتواضعة نذكر منها :

عدم وجود مراجع تناولت رواية "كاماراد" بالدراسة؛ لكونها حديثة الصدور، وكذلك الرواية ذاتها تحتاج إلى قراءة واعية ومتأنية؛ كي نخرج منها أهم المؤشرات الاجتماعية والثقافية

- ورغم هذه الصعوبات التي واجهتنا إلا أننا استطعنا تجاوزها بفضل الله ثم الأستاذ المشرف الدكتور :" هني لخضر" الذي وقف صابرا معنا في اتمام هذا البحث، ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته له وملاحظاته القيمة فتوجب لله بالشكر على ما بذله من جهة لإخراج هذا العمل في هذا الصورة.

الفصـــــل الأول

صورة إفريقيا جغر افيا

1- الصورة الجغرافية لإفريقيا:

في رحلة إنتاج الدلالة يلجأ الروائي إلى إرساء حدود جغرافية تقل أمكنتهم في منطقة ما من الخيال الذي يلجأ بدوره إلى الاهتداء بالمكان المحسوس لتكوينها وإدراكها، من هنا تظهر العناصر الجغرافية في سياق رسم المكان الروائي، ويتضح من خلال تحصيل الأمكنة الروائية دلالات متعددة بإطلاق أسماء أماكن محددة المعالم في جغرافية العالم، فالأشياء لا توجد منفصلة عن الإنسان فهو يصنعها ويبتاعها أو يحركها ويجعلها ترسم جغرافية أمكنته وتمنحه درجة من درجات القيمة الاجتماعية كما أنها أيضا علامات توحى بمستوى أهل المكان.[1]

يمثل المكان عنصرا بارزا في البناء الروائي حيث يعتبر الأرضية تشد جزئيات العمل كله، فهو إن وضح الزمن الروائي وإن درس بعناية فهمت الشخصية، وإن تناوله الروائي بصدق تاريخي وصدق فني مكن عمله من أي يمتد في التاريخ فإن كثيرا من المسائل تطرح نفسها، إذا أردنا تحديد الحقيقة العميقة للملامح والسمات الدقيقة المتضمنة في ارتباطها بمكان ها هنا تلمح صورة المكان باعتبارها ملمحا في التعبير الفني الروائي حيث يقاربه أو يباعده وقد يفسر هذا تشكيل تصوراتهم وصورهم للعوالم المادية وغير المادية على السواء[2] يقرب بين المحيط والبيئة وعليه، فإن البيئة نسيجا من التفاعلات التي تكون بين المحيط الطبيعي والكائنات الحية إنسانا أو حيوانا أو كائنا آخر غير حية وهي في مجملها تشكل ما أصبح يعرف بالمحيط المكون أساسا من مناخ وتضاريس وماء وهواء، مما لا شك فيه أن البيئة الطبيعية فيهامتاثرا متأثرة به فالإنسان بطبعة ابن بيئته، يتأثر بالمناخ المحيط به، لذلك أصبحت جغرافية البيئة تعالج مظاهر اختلال التوازن البيئي، وتعكس دور الإنسان على

[1] – مصطفى الضبع: استراتيجية المكان في جماليات المكان في السرد العربي، 1998، الهيئة عامة لقصور الثقافة كتابات نقدية شهرية، ص 92،97.

[2] – عبد اللطيف الزكري: وظيفة الصورة، 2016، عمان، ص 90.

محيطه الجغرافي حيث لا يمكن فصل الإنسان والمناخ، فالإنسان ابن بيئته حيث تؤثر فيه سلبا وإيجابا من مرحلة مبكرة، حيث نرى أن عناصر البيئة تؤثر في الإنسان من الناحيتين السلوكية والجسمانية، وعليه فإن الإنسان يتأثر خلقا وخلقيا، وتعكس هذه الظاهرة في قول الروائي عن كامارد الذي أراد الرحيل من خلال تأثره ببيئة « أنا متحسر يا أمي لأن العيلة والحروب الأهلية والأوبئة دبروا أمرهم بليل شكلو خلفاعليا...لابد علي أن أهاجر كغيري من الرفاق الأفارقة...»[1] وعليه فإن الانسان يتأثر خلقا وخلقيا بالعوامل البيئية ففي المناطق المدارية، حيث الشمس الساطعة والحرارة الشديدة، تعدل بشرة السكان نحو السمرة في حين تتصف بشرة السكان الذين يقطنون المناطق الوعرة أو الصحاري القاحلة بالصبر والقسوة، حيث نرى وجود قساوة على سكان المنطقة من ناحية بيئية، مما أدى إلى تأثيرها على كاماراد بقرار من رحيله من منطقته إلى منطقة يجد فيها الحياة التي يحلم بها بسبب وجود الفقر في منطقة لقول صاحب الرواية : «نيجيريا أفقر دولة»[2] حيث تعد نيجيريا دولة في غرب إفريقيا تطل على المحيط الأطلسي تبلغ مساحتها 922768 ومنه فإن نيجيريا من أكثر الدول الإفريقية كثافة سكانية، كما أن النيجر يطلق عليها ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكنغو، وهو يمتد في غرب القارة على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ثم من جديد تجاه الجنوب الشرقي، حتى ينتهي عند المصب كثير من الفروع ويتصل به على مسافة قصيرة من المصب نهر (بنوى) فقد ذكر ابن بطوطة الذي قام في القرن الرابع عشر برحلة من مراكش إلى انه شاهد النيجر يتجه إلى الشرق، بينما ذكر الحسن بن الوزان (البوالأفريقية) الذي قام في القرن السادس عشر برحلة فارس عبر الصحراء ووصل إلى نهر نيجر، وأبحر فيه وعليه فإن نيجيريا تسير نحو الغرب إلى المحيط.[3]

---

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص6.

[2] – المصدر نفسه، ص 19.

[3] – شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ إفريقيا، دار الزهراء– الرياض، 2002، ص 29،30.

تمركزت في الرواية دولة النيجر في قول: «...دولة النيجر هي المرشحة بامتياز..» تقع النيجر في شمال الغربي إفريقيا في قلب القارة الإفريقية، لا منفذ لها على البحر فهي تقع على مسافة تكاد تكون متساوية في كل البحار وتقوم وسط الصحراء كما لو كانت مصدرا ترتطم به منذ زمن بعيد موجات السكان وتأثيرات العرب والبربر وذلك تأثيرات الإمبراطوريات العظمى الإفريقية في القرون الوسطى.[1]

كما نجد من بين المكان الجغرافي المدن حيث تعد المدينة بمثابة المكان يجمع شتات الشخصيات التي لا رابط بينهما غيره، فيصبح هو صلة الدم الجغرافية التي تقوم بها على أساس شبكة العلاقات[2] فهي بحر يحتضن مختلف الأجناس لا تربط بينهم قرابة، وإنما جمعتهم الغاية أو القدر في ذلك المكان، فمثلا في رواية كاماراد تصور لنا المدن يمر فيها الأفارقة خلال هجرتهم الغير الشرعية ويسمونها بمدن الأحلام، هي فضاء يجتمع في المجتمع الكامارادي من نواحي جنوب إفريقيا؛ ليشكل الحدث، ومن هذه المدن التي وردت في الرواية: مدينة عين قزام (مارسيليا ليكاماراد)، ومما ورد في حقها من وصف ما يأتي: "...البيوت أكثرها طينية، قليلها إسمنتي، الطريق شبه معبد، وجوه الطوارق باللثام، يرتدون بازانات الزرقاء، صفراء، خضراء، نساء بيضاوات جميلات، يلتحفن قناع (تسغنس) رفاقنا الأفارقة أو قل عنهم (ليكاماراد) وهذا الاسم الشائع لنا ابتداء من هنا المقام، هم الآخرون يتجولون في المدينة بكل طلاقة وحرية...."[3] ، هو المكان الذي احتوى الجميع دون شروط ومواعيد.

[1] – مسعود الغوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج2، ط 3، لبنان، الشركة العالمية الموسوعات، 2005، ص 26.

[2] – حافظ صبري: الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، العدد يوليو 1984، ص 165.

[3] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 115.

أولا: الأماكن المفتوحة:

ونعني بها الأمكنة المفتوحة على الخارج (أماكن انتقال وحركة) حيث تتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة حيث بين الداخل والخارج والمكان المفتوح أو المكان الخارجي هو "الذي يخرج عن نطاق غرفة، ....وهو مكان رحب وواسع، غالبا ما نجد الفرد يتعامل مع إيجابيا"، ومن أهم الأمكنة المنفتحة التي تجلت خلال العمل الروائي والتي نحن بصدد دراستها:

1- المدن: تعتبر المدينة بمثابة "المكان الذي يجمع شتات الشخصيات التي لا رابط يبنهما غيره، فيصبح هو صلة الدم الجغرافية التي تقوم على أساسها شبكة العلاقات"، فهي بحر يحتضن مختلف الأجناس لا تربط بينهم قرابة، وإنما جمعتهم الغاية أو القدر في ذلك المكان، فمثلا في رواية "كاماراد" تصور لنا المدن التي يمر فيها الأفارقة خلال هجرتهم الغير شرعية، ويسمونها بمدن الأحلام، هي فضاء يتجمع فيه المجتمع الكامارادي من نواحي جنوب إفريقيا ليشكل الحدث،[1] ومن هذه المدن التي وردت في الرواية:

•**مدينة عين قزام:** (مارسيليا ليكاماراد)، ومما ورد في حقها من وصف ما يأتي: "...البيوت أكثرها طينية، قليلها إسمنتي، الطريق شبه معبد، وجوه الطوارق باللثام، يرتدون بازانات زرقاء، صفراء، خضراء، نساء بيضاوات جميلات، يلتحفن قناع (تسغنس) رفاقنا الأفارقة أو قل عنهم (ليكاماراد) وهذا الاسم الشائع لنا ابتداء من هنا المقام، هم الآخرون يتجولون في المدينة بكل طلاقة وحرية...."[2]

•**مدينة تمنراست:** (باريس ليكاماراد)، وهي كما يصفها "مامادو" المدينة في بدايتها، تبدو كما لو أنها عشوائية وقصديرية.... الجو مستلطف نوعا ما، بيوت طينية وزنكية متناثرة هنا وهناك، الماعز كالقوافل على الطريق"، ومدينة "طاما" كما ينعتها ليكاماراد خليط من

[1] – حافظ صبري: الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، العدد يوليو: 1984، ص 165.

[2] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 115.

الأجناس البشرية " الطوارق رجال ونساء وأطفال، إخواننا ليكاماراد، نساء وشيوخ من أهل زندر ومعهم أطفال يتسولون في الشوارع بطاساتهم، أناس سود مثلنا من أهل البلدة، قوم أخرون بيض مشربون بسمرة، القمامة.....موجودة هي الأخرى".[1]

إن مدينة تمنراست هي تجمع لمجتمعات إثنية مختلفة، بيض، سود، أفارقة زنوج، الطوارق، فهي خليط من الأجناس البشرية.

•**مدينة أدرار**: يسميها ليكاماراد ب (روما ليكاماراد)، وهي تدخل ضمن أحلامهم، يصفها "مامادو" قائلا: "الحركة هادئة بوسط المدينة، أكثر ما شد إنتباهنا، تتشابه المعمار الأدراري مع معمارنا الإفريقي، في مدن (أقادز) و(طاوة) و(تساليت) و(Gأو)"، ويفسر "مامادو" هذا التشابه بقول رفيقه "فيليب" "إن الاستيطان الفرنسي هو الذي أدخل هذا النموذج المعماري إلى هنا من بلداننا، فبني بالطين....وسمك الجدران....وسقف بجذوع النخيل...وصبغ المظهر الخارجي للبنايات المدينة بالأحمر الطيني...لامتصاص الحرارة القاتلة لهذه المناطق زمن الصيف...بها ساحة "ماسينا" تنفتح فيها أربعة أقواس حمراء".

إن هذه المدن الصحراوية الجزائرية التي وردت في الرواية، تعتبر مناطق عبور ومحطات انتقال لهؤلاء الأفارقة الحالمين بالفردوس.

2- الشوارع والأزقة: يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة، أو أحد علاماتها المكانية البارزة تنفتح فيه الأبواب وتتحرك فيه الشخصيات.

والشوارع أماكن مفتوحة، تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل حرية التنقل وسعة الاطلاع وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة تمثل بالنسبة للشخصيات أماكن مرور وتوقف وانطلاق.

[1] - المرجع نفسه، ص 179.

ورد الحديث عن الشوارع في بعض المقاطع السردية في الرواية، يمكن أن نمثل لها بالأزقة والشوارع التي مر عبرها البطل "مامادو" إزاء ممارسته لمهنته البسيطة، والتي ورثها عن أجداده وهي " يبع أعواد Gورو" ويقول متحدثا عنها قائلا: "أكملت دوراتي عبر شوارعي المرسومة التي كان والدي بورايما يسلكها، وجدي غندا"[1] وصلت الأزقة بالجهة الشرقية للعاصمة، أطواف عتبات أبوابه، مقتفيا آثار جدي... ثم يطوف بالحي العربي يتبع الأزقة التي كان يطوف فيها والده.... ثم يتوقف عند بعض الأماكن التي كان قد ابتدعها شخصيا، وكان قد عقد العزم على أن يورثها لأبنائه في المستقبل، قبل أن يفكر في الهجرة، ومن الواضح أن الأحياء والشوارع والأزقة " تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر مكان إقامتها وعملها".

يقول مامادو واصفا لطريق حي الشاطو الشعبي بتمنراست: "سلكنا زقاقا متسخا، فيه أعقاب السجائر وعليها المرمية، أبواب الأكواخ حديدية وخشبية مهترئة، تنبعث منها فوغة نتنة، جلست نساء كاماراديات قبال البعض منها، اجتهدن في بسط سعرهن وترتيبه.....أجسادهن شبه عاريات، تتسم هذه الأزقة بأنها ضيقة، وملتوية، ومتسخة تعترضك فيها سيقان المومسات.[2]

وجاء هذا ليكشف عن هامش المهاجرين الأفارقة .....بالمخدرات، والدعارة، ....إلى غيرها الأعمال المشبوهة.

3- الأسواق: السوق مكان تجاري، نجد فيه كل المظاهر التي تعبر عن وجه المدينة، وقد شكلت الأسواق ظاهرة مميزة في مختلف الحضارات واهتم بها المؤرخون، والرحالة، وحتى الرواة في كتاباتهم.

[1] - الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 310.

[2] - المصدر نفسه، ص 197.

هو" المكان الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر، ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة كما يمثل مناسبة لتقديم شخصيات جديدة.[1]

استثمرت الرواية الخصائص العامة لهذا المكان، حيث تبرز لنا حالة السوق بمدينة نيامي في صورة مزدحمة " الحركة والضجيج يبلغان ذروتهما اللامتناهية، خلال فترة منتصف نهار نيامي، لاسيما بهذا المكان من السوق الكبيرة .....الدخان يعلو المكان".

كما تشير الرواية إلى سوق الحيوانات، الذي تختلط فيه أصواتها، يقول مامادو واصفا السوق بأنها: "ضاجة بأصوات الحيوانات، رغاء الأبل المختلط بنعيق النوق الرخيم بحنين ولدها، هو الآخر مختلط مع ثغاء الماعز ومأمأة الشياه...إبقاء تلك الأصوات شكلت معزوفات رائعة بأجواء الأسواق"، وكانت الحيوانات متوزعة في جغرافيا هذا السوق في شكل "فضاءات لكل صنف جهته، الشياه لجهة الشرق، الإبل لجهة اليمين، الماعز لجهة الشمال البقر للجهة المقابلة للشياه.

وبما أن السوق مكان للتبضع فقد ورد في هذا النص الروائي خروج مامادو للسوق لشراء أغراض تلزمه في رحلته يقول: "وصلت للسوق لجة تلك الحركة الصاخبة، التي تتعالى في كل صباحات العاصمة ولا يحلو ان يتناقص إلا بعد العصر..

قصدت جهة الملابس المستعملة المعروفة بالبالية .....اشتريت هاتين سروالين مستعملين من الجينز الأزرق البارد.... اشتريت قميصين صيفيين مستعملين كذلك اشتريت هاتفين نقالين....".

[1] – فلة قارة: ليندة لكحل، بنية الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغامني، مذكرة لنيل شهادة ماستر أدب، جامعة منتوري قسنطينة، ماي، 2011، ص 85.

إن السوق مكان عام يمنح الناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبادل، لذا فهو مكان انفتاح ينفتح على العالم الخارجي، يعيش دوما حركة مستمرة، يؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم.

4- الأحياء الشعبية: الأحياء الشعبية هي مجموعة السكنات العشوائية التي تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الكريمة، تتميز ببساطة ساكنيها وطيبتهم، حيث تجمعهم علاقات وطيدة ومتماسكة كأنهم عائلة واحدة كبيرة، وغالبا ما تكون أزقته، وطرقاتها ضيقة والبيوت، تكاد تكون ملتصقة ببعضها البعض، ومن الأحياء القصديرية التي وردت في الرواية نذكر:

•حي G ملكي: المكان الذي تنطلق منه أحداث الرواية "فقر الأحياء بمديمة نيامي النيجيرية مكان متروك معزول عن العالم"، صورة حية للفاقة والبؤس الشديد بهذا الحي من خلال وصف البطل مامادو " بيوت طينية بائسة، مغطاة بشجر، الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان دون استثناء ... أطفال نصف عراة، نساء ضامرات، شيوخ خماص، أشياء لا تخطر على البال!!".

يصف الروائي حالة الجهل والفراغ والتخلف بلسان "مامادو" حيث يقول: "في حينا القصديري (G ملكي)، الواقع على الضفة الضاجة من نهر النيجر، لا يوجد لنا نواد أو مقاه شبابية تختلف إليها، لدغدغة أحلامنا".[1]

•حي الشاطو: حي قصديري فوضوي، بناياته طينية هشة قصيرة... بنيت بشكل عشوائي، آثار العجلة في إقامتها باد للعيان...كابلات الكهرباء المجرورة من الأحياء المحاذية".

إن هذه الأحياء الشعبية التي وقف أمامها الكاتب وقفة متأنية يمكن القول عنها، تسلب بعض حقوق هؤلاء الأفارقة وحرياتهم، وكأن مصيرهم فرض عليهم، بالإضافة إلى ضعف

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 23.

الإمكانيات المادية والوسائل الثقافية والترفيهية. [1]

5- أليكس: القائد المنقد والحكيم المدبر للرحلة، خبير بالمسالك الهجرة ومقارعة السماسرة المهربين، يحصل على جوازات السفر المزورة ويجد للرفاق الملجأ والملاذ، ويوصلهم جميعا إلى نقطة النهاية يقول فيه "مامادو" شخص تريه وضعنا فيه ثقتنا في خلوات الموت فكيف لا نثق به في بر الأمان؟"

إن الكثير من الشخصيات التي وردت في الرواية جاءت مسمياتها بهذه الطريقة التي تشبع حركة الضمة كغاديكو ومسمانو وخديحاتو وحليماتو وزينابو وغيرها وجل هذه الشخصيات التي ساهمت في بناء المكان في الرواية من خلال انتقالها مع البطل من مكان لآخر في رحلة محفوفة بالمخاطر.

ثانيا: جماليات الأمكنة:

يعد المكان مكون من المكونات الرواية لا استغناء عنه مثله مثل الشخصية والحدث مع اقتضاء وجود سارد ومن سمات المكان يتعدد بتعدد الأحداث وتطورها، اعتبر "مرشد أحمد" المكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الراوي ببعضها البعض وهو يسم الأشخاص والأحداث الروائية والعمق ويدل عليها"، في رواية كاماراد تعددت الأمكنة، وشكلت همزة وصل بين بداية رحلة البطل ونهايتها من حي G ملكي بمدينة النيجر وصولا إلى سبتة الإسبانية.

فحي G ملكي الذي عده الكاتب "أفقر الأحياء بالعاصمة نيامي النيجر هو مكان بداية تشكل أحداث الرواية، فيصور لنا واقع الحياة في هذا الحي الذي يستقطب " بيوت طينية بائسة، مغطاة بأعواد الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان ويصف لنا المطاعم

[1] – المصدر نفسه، ص 194.

التي توجد على قارعة الطريق والأرصفة تطبخ للجوعى بالحطب، ويجلس زبائنها الكرام على مجسمات الأحجار المكعبة وجذوع أسطوانية بدل الكرسي، ويبرز لنا الروائي كيف رفض البطل "مامادو" هذه الحياة وقرر الهجرة نحو أوروبا التي سماها بجنة الخلد فيبحث عن السبيل في كيفية تدبير المال لذه المرحلة الطويلة، مما اضطر إلى بيع بقرة العائلة "بكتو" ومصدر رزقها بسوق المواشي بنيامي ليتزود بثمنها في رحلته

رحلة مامادو مليئة بالحيف والضياع مع سماسرة تهريب البشر في الصحراء إفريقيا حتى مدينة الجزائر بمحطة عين قزام أولا وسماها (بمارسيليا ليكاماراد) كما وصفها: "الطقس معتدل، تسللنا عبر الشارع الوحيد للمدينة البيوت أكثرها طينية، وجوه من الطوارق باللثام، نساء بيضاوات جميلات يلتحفن قناع (تسغنس) رفاقنا الأفارقة (ليكاماراد) كما يصور لنا مقهى النادي ايدير مقهى بسيط؛ ولكنه بكل إنصاف أحسن من مقاهي عاصمتنا ومطاعمها ويمر عبر مدينة تمنراست التي تقول عنها " أن لطاما هي تجمع المجتمعات إنثية مختلفة إفريقية زنجية، وطارقته، تفاصيل المكان تشبه G ملكي ونيامي وكل بلاد الله بإفريقيا، كما يصور لنا أماكن تجمع ليكاماراد وما تتوفر عليه من قيم سلبية من تزوير الأموال والمخدرات وبيوت الدعارة وغيرها من الأعمال المشبوهة فيوجد بتجمع اليبيراليين "جماعة متخصصة بتزوير النقود والعملة المحلية واليورو بمخيم له G آرت الشومارة "بيع جوازات سفر مالية مزورة ناهيك عن المخدرات التي كان بيعها الرفاق بتلك الأحياء وانتشار بيوت الدعارة.

وقد قام "مامادو" بترويج العملة الصعبة المزورة بالمدينة مقابل الحصول على المال من أجل شراء جواز سفر مزور ليصل إلى الفردوس المنشود ثم انتقل إلى مدينة أدرار (روما ليكاماراد)، التي تعد سوق اليد العاملة الكامارادته وقطن بحي ابن واكست وعمل في وسات بناء مقاولين بالمدينة للحصول على المال لاستكمال رحلته وبعدها انتقل إلى شمال الجزائر مغنية (مالطا ليكاماراد) بمحافظة تلمسان متسلهة بين حدودها مع الجارة المغربية بمدينة وجدة لكنه أخفق في تحقيق حلمه رغم كل هذه المغامرات إلا أنها باءت بالفشل بعض ضياع

تميمته "G ملكي" التي أعطتها له أمه كحجاب لتحميه من المخاطر قال" ضاعت مخلصتي ووصفته أمي من تركة أبي وبذلك ضعت معها أيضا!! فسقطت في يدي الحرس المغربي!!

جات لغة الكتابة قائمة على المعرفة التاريخية والثقافية سلط فيها الضوء على العادات والتقاليد في العديد من الأماكن منها:

" التسغنس قناع يلتحفنه نساء الطوارق"

" خبزة الكسرة التقليدية نضع من معجون الدقيق تستعملها أهل الصحاري والطوارق يذكر البطل الراوي" بعض من عادات وطقوس "البوردرو" وهو خرم... النساء لكي يتكاثر وهو من خرافات وأساطير الشعوب الإفريقية الزنجية.

بالإضافة إلا أنهاا ستخدم بعض الكلمات المعربة كأسماء الماركات العالمية وأنواع السيارات وتسمية الأماكن: كفندق G اواي، سيارة لاندر بونجو زمون باطروت وعليه نجد لغة الكاتب لغة سهلة وبسيطة حيث استخدم اللغة الفصحى تتخللها بعض الدارجة أو العامية كقول المقاول بحي G راوي واستعمل البعض من الفرنسية (Bonjour Mon Patron) والإنجليزية Gaveme your pass port plase

أما الحوار فيعتبر من بين الوسائل التي يتبنها الراوي للتعبير عن الحدث إذ يعد من أهم عناصر العمل الفني في الرواية نجد تمحور البطل مامادو مع بعض الشخصيات، كالحوار الذي دار بينه وبين رجل عجوز عند ترويجه للعملة المزورة بمدينة تمنراست.[1]

- هل تريد عملة اليورو
- الجواب على الفور
- (أجل.....)

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 91.

كما ينفتح في زاويتها الشرقية مطبخ، التذكارات الحائطية موجودة هنا كذلك دلنا مرقد واسع طويل وعريض ....مسقف بالزنك والأعمدة الحديدية التي تشبه سلك الحديد تنفتح من كوتان جهة الساحة مصبوغ بدخان التدفئة زمن الشتاء، به تذكارات كامارادية أيضا، علقت في حيطانه أوتاد وأعواد كثيرة، تتعلق بها ملابس بالية وحقائب مهترئة.

إن هذه البيوت تشترك جميعا في وضعيتها الاجتماعية المزرية، وعدم توفرها على شروط الاستقرار بحيث ترف للقارئ واقع الحياة البدائية البسيطة لهؤلاء الأفارقة، والقيمة إلى مالية هذه البيوت لا تكهن في مظاهرها الخارجي وإنما في بعدها الفني باعتبارها مكان احتوى تراكيب اجتماعية أعطته قيمته جمالية.

مجلس فضاء: مجلس فضاء مكان مغلق، وهو المكان الذي يظهر الرفاق الملتقين حول صينية الشاي، وجهاز قراءة أغاني محلية لشرب الشاي وسماع بعض الأغاني ونسيان همومهم عبر عنه مامادو بقوله: "النادي الوحيد الذي كنا نختلف إليه ونلتقي فيه نحن شباب الحي، خلال أوقات العشية لشرب الشاي، هو مجلس فضا" فيتبادلون أطراف الحديث ويتسامرون ويرقصون وينسون أعباء الحياة ومشاكلها ويسمعون أغاني المغنية قاطي ماريكو، يقول "مامادو" على إيقاع نغمتها التي تصدنا بلحظات حالمة ننسى بها بؤسنا، وتقبض فيها على الزمن الهارب الذي يحلو لنا نعته في شريعة فقرنا وملة بؤسنا ابن الكلب.[1]

كما تبين لنا الرواية طقوس جلسة الشاي التي عند رفاق مجلس فضا نوع من أنواع طقوس العبادة اليومية بالكاد ينهي بسط الحصيرة السعفية على الأرض، وضع صينية الشاي النحاسية المستديرة وسط المفروش، حسب صفة في تلك الأخيرة، فناجين الشاي الزجاجية الشفافة.

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 312.

يعد المكان عنصرا متميزا لا يمكن إغفال دوره الكبير في لم وشائح العناصر الفنية الأخرى المكونة لجنس الرواية، وهذا يعني أن المكان لا بد منه في العمل الروائي، ولقد اختلفت الأمكنة بين مكان مغلق وآخر مفتوح ولكل منها صفات هو نحن في دراستنا للأمكنة المغلقة والمفتوحة الموجودة في الرواية سنقف على الأماكن التي عاش فيها البطل مامادو والتي سافر

ثالثا: الأماكن المغلقة:

المكان المغلق هو المكان التي يمثل الانسداد والانغلاق كما يتصف بالتحديد وهذا لا ينفي انفتاحه على أمكنة أخرى.[1]

إذ يعتبر مكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الجغرافية والهندسية فهو مكان الألفة.

البيت: يعبر أحد الأماكن المغلقة بالنسبة للمجتمع ومكانا مفتوحا بالنسبة للشخصية التي تسكنه فمن خلاله تصب هذه الأخيرة ألمها وفرحها وكذا حزنها وغضبها فالبيت يعد أهم مكان في حياتنا لأننا نعده مكانتنا الأولى أو بالأحرى مكاننا الطفولي كما سماه غاشون باشلار وقد شغل البيت حيزا مهما في حياة الإنسان إذ يعتبر ملجأ كل إنسان بعد يوم من الشقاء والعمل والعناء وتعددت تسمياته منها الدار، والبيت والمنزل والشقة، والقصر...إلخ.

بيت عائلة "مامادو" هو المكان الذي عاش فيه البطل حياته التي قضاها في فقر وشقاء يقع بحي G ملكي بالنيجر من تلك البيوت بالحي الشعبي التي يطلق عليها بيوت على سبيل المجاز.[2]

[1] – كلثوم مدفن: دلالة المكان في رواية هوس الهجرة إلى الشمال. ص 141.

[2] – وردة سلطاني: التشكيل المكاني في النص الثوري أنموذجا ص620.

إنه بيت من خلال الوصف يشير الوحشة والقلق، يشير إلى عقم الحياة وتعفنها مكان بائس كبؤس الشخصيات التي المكان يقول مامادو: انزويت بالسقيفة المظلمة التي أنام قربها برحية البيت ليلا، تمددت على الحصير في سقيفة مظلمة مستطيلة، صبغت جدرانها بدخان حطب التدفئة والطهي شتاءا.....

.....سقف هذا الأخير مغطى بأعواد شجر الكرنك، تتدل منه أطراف أسمال .....

الفصـــــل الثاني

صورة إفريقيا ثقافيا واجتماعيا

1- الصورة الثقافية لإفريقيا:

تعددت الصورة الثقافية لإفريقيا بتعدد خصائصها التي هي نتيجة تنوع السكان الذين يعيشون فيها، تظهر الثقافة الإفريقية في فنون إفريقيا وحرفها وفي المأثورات الشعبية في الدين لروائي عند تقسيم الرواية بعناوين دينية- البعث، الحشر، النفخ في الصور، فاللغة لدى إفريقيا تراث غني بالفنون والحرف تمثلت الفنون الافريقية وحرفها في مجموعة متنوعة من المنحوتات الخشبية وأعمال فنية بالنحاس والجلود تتضمن الفنون..... لقول هولانا كارينجا " أن في الفن الإفريقي لم يكن الهدف بأهمية قوة الروح خلف إنشاء الهدف[1]، كما أن القصص الشعبية تلعب دورا هاما في الثقافات الإفريقية تعكس القصص هوية الجماعة الثقافية والحفاظ على القصص الإفريقية سيساعد على الحفاظ على ثقافة كاملة حيث أن القصص تؤكد على الاعتزاز والهوية في الثقافة الإفريقية تؤلف جماعة عرقية القصص لأنفسهم مجموعات عرقية مختلفة في إفريقيا تمارس طقوسها وأساطير مختلفة في قول الروائي: (الأسطورة التي روتها لي أمي عن أبي.....)[2] مما ينمي الشعور بالانتماء إلى جماعة ثقافية سماع الأجانب لقصص المجموعات العرقية يقدم لهم فكرة عن معتقدات المجتمع مثل الحوار الذي دار بين مامادو والرجل الأوروبي حيث قام بتمييز مجموعات يظهر رغبات ومخاوف المجموعة كالحب والروح واعتبرت القصص أيضا أداة للتعليم والترفيه، هذا ما نجد في قول الروائي حيث نلتمس الترفيه في قوله: «....تناولنا ما تبقى من كؤوسنا بطبيعة الحال فترة ما بين الكأسين كانت لسماع الأغاني والرقص على إيقاعها... رقصنا حت اغتسلنا من هامشنا المليء بالوجع»[3] وعليه يمكن تفسير أن الروابط الوثيقة التي تربطنا بالشعوب الإفريقية أن نبرر كل ما ينم عن أصالتها وماضي حضارتها لعلنا بذلك

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 43.

[2] – المصدر نفسه، ص 53.

[3] – المصدر نفسه، ص43.

نمحو الخرافة التي استقرت في أدهان الكثيرين من أن الرجل الأبيض جاء إلى إفريقيا بوصفه وصيا عليهالي يبين شعوبها من الجهالة والتأخر وهو في حقيقة الأمر ما جاء إلى هذه الأرض الطاهرة إلى الاستغلال خيراتها وليضمن لنفسه حياة سعيدة على حساب الإفريقيين فالقول أن إفريقيا متوحشة يسود فيها الجهل فهذا كان الحال كل مكان في العالم غير افريقيا وليس هناك مرجع واحد يجعلنا نعتقد أن إفريقيا ترفض التقدم، أو أن الفرصة إذا اتبعت لها فلن تستغلها إذ كان الرجل يزعم أنه جلب التعليم معه إلى الإفريقيين فيها إن كانت إفريقيا خالية تماما من التعليم قبل أن ترى الرجل الأبيض[1]، فدليل على وجود الأوروبيين في إفريقيا في قول الروائي "....الفرنسي جاك....."

ومن أبرز عناصر الثقافة الإفريقية اللهجات المختلفة حيث تعد اللهجات أو اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة فاصلة ويشترك فيها أفراد البيئة ولغة وحدة التواصل بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث يقدر الرابطة التي تربط اللهجات وتختلف بطريقة لفظ كلمات معينة تخص مجموعة من الأشخاص وتميزهم عن المجموعات الأخرى هذا ما بين صاحب الروائي: "في الغالب إلا ما ندرك أكون أنا مامادو وكما بنطقه إخواننا الغرب .... ونحاول نحن الأفارقة أن نقربه دل مامادو"[2].

كما تجدر الإشارة إلى رمز الثقافي الإفريقي وهو العادات والتقاليد مختلفة ومتميزة حيث لها جذر قوي وتأثير هائل في حياة الناس لطالما اهتم الكثير من الشعوب الإفريقية كالمظهر الشخصي وقد كانت المجوهرات امتداد شخصيا مهما في عادات كما نجد العديد من الفنون التقليدية في إفريقيا تتكرر بعض الموضوعات مما يبرر العادات والتقاليد الإفريقية الرقص حيث يشكل جزء من التقاليد الإفريقية حيث يقوم الأفارقة بالرقص في مناسبات فلا يوجد شيء يحرك الروح أكثر من إيقاع طبل إفريقي من الغبار الذي يحرك بواسطة أقدم الرقص

[1] – حنفى بن عيسى: الثقافة، مجلة وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، العدد 47، 1978، ص 51.

[2] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 44.

ومن الجدير بالذكر أن كل مناسبة لها رقصة متميزة، قول الروائي: «... أخير الشاشة الزرقاء بعد شد ومد....ترقص على إيقاع للموسيقار الروسي...» [1]كما تتميز الثقافة الإفريقية باللباس الإفريقي المتميز وهو من أهم ما يجب ذكره في الثقافة الإفريقية التعليم فالشعب الإفريقي طبيعة توافق التعليم ومتحسن لفتح المدارس بدخلها أبناؤها، فكان يجمع الأموال القليلة لبناء المدارس وهذا ما حصل في كينيا ولكن المحتل لم يشجع هذه الطريقة فعند إعلان حالة طوارئ أغلق المدارس النبي بناها الإفريقيون ....لهفة الإفريقيين ورغبتهم في التعليم حينما كان التعليم المهني الصناعي والزراعي قاصر على البيض فقط خاصة روديسيا في اتحاد جنوب إفريقيا، فصدرت القوانين التي تمنح الإفريقي من تعلم مهنة ومزاولتها كي لا ينافس غير من البيض.[2]

وعليه فإن الجانب أو الصورة الثقافية في إفريقيا في رواية كامارد رفيق الحيف والضياع ما يستحق القراءة المتأنية بالنذر إلى الأجواء الجديدة، التي ركز عليها الروايئ الصديق حاج أحمد الزيواني إننا أمام عوالم يتداخل فيها الواقعي بالسحري والخرافي والأسطوري يسم بعض البلدان الإفريقية التي تتمازج فيها الأشياء مكونة ما يشبه الحقيقة الوهمية لقد بذل الكاتب جهدا استثنائيا في التنقيب عن العادات والحالات الثقافية والمعجم والمعتقدات المتواترة ليقدم صورة ذات أهمية متقدم بالعودة إلى قلة النصوص التي اهتمت بالموضوع في قارة مذهلة ومنسية في هامش الوقت كما يكشف النص عن تفاصيل دقيقة في قوالب تقنية راقية وبطاقة سردية متميزة لأنها تمثلت الأجواء والشخصيات والكلمة والعبارة والحالة إنها رحلة البحث عن الذات هربا منها أو محاولة القبض على مستقبل كقوس قزح قريب ومستحيل .....هجرة من بلدان لا توفر لأبنائها سوى الخراب والكذب والحطام والموت

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ، ص44.

[2] – جمال عبد الهادي محمد مسعود: إفريقيا، جامعة أم القرى، ص19.

إلى ذلك تماما ما ركزت علة الرواية في التعامل مع موضوع الهجرة غير الشرعية بمعرفة كبيرة وبوعي يستحق التثمين من حيث أنها أحاطت باللغة والتفاصيل والمسارات.[1]

من أبرز النظريات الثقافة نظرية الانتشارية فهي عملية تنشر بموجبها سمات ثقافية من منطقة إلى أخرى تتميز هذه النظرية بين انتقال التراث وانتشاره الانتقال الثقافي عبر الأجيال من جيل إلى أخر بمعنى تراث يعمل وفق عامل الزمن حيث أن فكرة الانتشار الثقافي عنصر التشابه الكثير من السمات والعناصر الثقافية من مجتمعات متباعدة عن بعضها وقد تكون هجرة العنصر الثقافي كاملة أو جزئية والتغير في المجتمع فهي متعددة منها الهجرة والاستعمار والثورة.[2]

3- الصورة الاجتماعية لإفريقيا:

صور لنا الروائي صورة الاجتماعية لإفريقيا بداية في الرواية بالفقر بصورة البؤس في قوله (أكاد أجزم سعادة صف نيامي –مخرج فيلم كاماراد– أن منظر القمامة والهواء ملوث وحدهما القاسم المشترك بين الفقراء)[3] حيث يعيش ثلاثة ملايين إفريقي في فقر مدقع ويعود سبب هذا الهدر المأساوي في الطاقات البشرية إلى البطالة الجزئية وانخفاض الانتاجية في الوظائف الموجودة ولا سيما في الزراعة وفي الاقتصاد غير المنظم في المناطق الحضرية، تتسم إفريقيا بأعلى معدلات في العالم من البطالة الجزئية وتدني مستويات الدخل والأجر عوامل رئيسة تحدد جميعها الأشخاص العاملين في الفقر، أي أن الأشخاص غير القادرين على كسب عيش لائق والحصول على الاحتياجات الاجتماعية الأساسية لذاتهم ولأسرهم ويعيش أكبر عدد من الفقراء العاملين في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

[1] – صحيفة صوت الأحرار، وهيبة منداس، 11 مارس 2016، ص 12.

[2] –طيب سعيد، دور الهجرة في التغيير الثقافي والاجتماعي، رسالة ماجستير، قسم جغرافيا، جامعة خرطوم، 2001، ص

[3] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص35.

1-أسباب هجرة المهاجر الافريقي:

لم تحقق طاقة العمالة على تخفيض حدة الفقر على اكمال وجه في إفريقيا للأسباب التالية: – إنتاجية الفقراء العاملين بمن فيهم أولئك العاملون في المزارع الصغيرة والاقتصاد غير المنظم، غير كافية لتوليد فائض من أجل ادخار – المنتجون غير قادرين على تحسين سلسلة القيم التي تمكنهم من التنافس على الصعيد الدولي.[1]

– نجد أن سبب الفقر هو البرجوازية الإفريقية، وهو ما يتفق عليه معظم الباحثين في أن البرجوازية الإفريقية كانت وليدة الاستعمار، الذي استعان بعد فرض وجوده بالقوة العسكرية بزعماء القبائل والمناطق من الوجهاء التقليدية وذلك كي يضمن استمرار سيطرته بجانب ذلك فقد أوجدت القوانين التي طبقها الاستعمار في البدان الإفريقية، فئة من الموظفين وكوادر الشرطة والجيش تعتمد على تلبية حاجاتها على رضى المستعمر عن طريق تطبيق القوانين وتنفيذ إجراءاته الإدارية.[2] (في حين الرواية تتمركز على صورة اجتماعية عصرية ألا وهي الهجرة التي تمثلت في هجرة الرجل الإفريقي مامادو إلى أوروبا، فالهجرة في إفريقيا لها دلالات مثيرة لجدل وأحيانا متناقصة، ففي حين تشير الأولى إلى المهاجرين الذين يغادرون مساكنهم ويقيمون في أماكن أخرى بحثا عن فرص اقتصادية مثل العمل وفرص التجارة والتعليم حيث أن الهجرة سببها المشاكل الاجتماعية والسياسية، مثل النزاع المسلح وانتهاك حقوق الإنسان وكوارث البيئة، إن السبب الرئيسي للحركة الطوعية للسكان بين الحدود الوطنية وأخلها .....الأولى والمنتامي في التنمية بين الدول لأسباب هذه التحركات وعواقبها.

[1] – الخلاص من الفقر آراء من إفريقيا، الضياع الإقليمي الإفريقي العاشر، تقرير، ديسمبر 2003، ص 1 و2."

[2] – إفريقيا، أمين أسير، دار دمشق ط 1985، ص 137.

فإن عوامل متعددة تحفز الهجرة داخل وخارج افريقيا بما في ذلك الاجتماعية الفقر، قلة فرص العمل.[1]

تؤدي عوامل سياسية اجتماعية مختلفة مثل صور الحكم، الفساد، عدم استقرار السياسي، النزاعات، والحروب الأهلية إلى هجرة العمالة الماهرة في إفريقيا فالفرصة المنصورة لحياة أفضل دخل مرتفع، زيادة الأمن، الضغوط للانضمام إلى الأقارب والأسر والأصدقاء التوعية الفضل للتعليم كما لعبت العولمة دور هام في تشكيل اتجاهات الهجرة بفتح أفاق حديدة وسبل جديدة وهكذا تصبح الهجرة النازحة استراتيجية البقاء بالنسبة للمجتمعات المحلية، وتنفذ حركات الهجرة الإفريقية أساسا في ثلاث مسارات:

- الطريق الشمالي عبر السودان وليبيا ومصر إلى أوروبا.
- الطريق الشرقي طريق الهجرة عبر الخليج
- الطريق الجنوبي: عبر كينا وموزمبيق.[2]

وعليه نفسر هجرة مامادو في الرواية، موضوعها الرئيسي الحديث من المهمش الاجتماعي عانى من التهميش والنسيان داخل وطنه وخارجه، عانى من دونية وشفقة نظرة المجتمع إليه من أحد ساكني البيوت القصديرية على هامش مدن الضواحي وغيره من الأبطال الذين يتجلى من خلالها صورة المهمش في المجتمع لهذا صور الروائي الصورة الاجتماعية في رواية من نواحي الفقر والاستعمار والهجرة ومنه

يشعر الكائن الإنساني دائما بالاحتياج لأشياء معينة لاستمرار حياته، وهذا ما يؤثر سلبا على سلوكاته اليومية، لذا فهو في بحث مستمر؛ لما يوفر له تلك الحاجات حتى وإن

[1] – تقييم إطار سياسة الهجرة في إفريقيا تابع للاتحاد الإفريقي ص7 و8.

[2] – المرجع نفسه، ص 15.

تطلب الأمر الانتقال من مكان لآخر وإذ أن ذلك الانتقال ونتيجة لتطورات الحياة طرأت عليه تعقيدات عدة، لذا إما يكون بطريقة قانونية أو غير قانونية.

ينص الإعلام العالمي لحقوق الإنسان في البند 13 منه على: "حق أي شخص في اختيار مكان إقامته وحرية التنقل داخل أي بلد شاء".[1]

كما يؤكد أن:" لكل شخص الحق في مغادرة أي بلد والعودة لبلده الأصلي" ولكن هذا طبعا وفق قوانين منصوصة لتنظيم حماية سيادة الدول وأمنها عبر الحدود.

تعد القارة الإفريقية خاصة دول الجنوب منها أكبر الدول فقرا في العالم، فهم يعانون من الحرمان في أبسط حقوقهم منها حرية الرأي، وحرية التعبير، وغياب مبادئ حقوق الإنسان، واحتراما لحريات العامة. فكبت الحريات والضغوطات الاجتماعية، والسياسية والدينية، إضافة إلى عدم الشعور بالأمان هو ما يؤدي بهم للتفكير الدائم في الهجرة غير الشرعية نحو الشمال –فردوسهم المنتظر– فأي أفريقي يرى أن الهجرة قدر حتم عليهم "هذا قدرنا كان لابد على أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة، استجداء جنة الخلد... تحت شعار يافطة كبيرة، كتب عليها (من أجل حياة أفضل)!!"[2]

يتطلب التحضير لرحلة الموت الكثير من الوقت إضافة إلى المال الذي يوفر سواء عن طريق الادخار أو القرض أو بيع الممتلكات –رغم قلتها– هذا هو حال مامادو الذي بقى يضرب أسداس في أخماس لطريقة حصوله على المال "انا لمن يكن لي من سبيل غير إقناع أمي ببيع بقرتنا الحلوب (بكتو)، مع يقيني، أن أمي بسببه، ستنعتني بالجنون (...) سأحسم الموضوع معها، بجملة "الله غالب"[3]. "كل ما كانت تمثله العائلة هو البقرة وحليبها،

[1] – منصوري رؤوف: الهجرة السرية من منظور الأمن الانساني، مخطوط رسالة ماجستير في القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سطيف، الجزائر، 2013م، 2014م، ص 11.

[2] – المرجع نفسه: ص 11.

[3] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 70.

إضافة إلى ما يجنيه مامادو من بيع أعواد (G ورو) أو أعود الحلاوة، وهو مبلغ زهيد أو ينعدم أحيانا وهو ما يأكده مامادو وفي حديثه " ما أجمعه في كامل اليوم من هذه الحرفة، مبلغ زهيد من الفرنكات على كل حال، تقول أمي، ببلاغتها الفطرية (أنه لا يملأ حتى حفرة الضرس المسومة!!) مرة عندها يكون المبلغ غاية في القلة، أن تقرب وجهها مني وتحشو سبابتها اليمنى في فمها وتبين لي عن فمها الخرب، فتكشف لي حفرة ضرسها المسوسة ، هي تفعل هذا كناية عن الشح"[1] .... أن كل هذا ضاع لما فكر مامادو بالهجرة، حيث لم يتبق للعائلة أي دخل سوى جزء من مبلغ بيع باكتو.

صور الزيواني في الصفحات الأولى من رواية كاماردا الحالة البائسة، والأوضاع المزرية للعاصمة نيامي التي تفتقد حتى لشروط الحياة البسيطة المتواضعة، فالفقر المدفع والتخلف متجلي في كل شيء، بداية بمطار عاصمة دولة النيجر فيصفها المخرج في نفسه بقوله: نزل الضيف أرضية المطار على سلم مجرور!! كان لا يراه إلا من خلال أفلام السبعينيات (مطار عاصمة دولة مساحته تكاد تكون ركنا صغيرا بمطارات الريف الفرنسي) قال في نفسه وصلوا أمام قاعدة الدخول للمطار (صالة صغيرة أيضا بقدر زاوية من قاعات مطاراتنا) تكلم مع نفسه ثانية"[2] إذا كان هذا حال مطار عاصمة، فكيف يمكن تصور حال المنشآت العمرانية والخدمات العمومية الأخرى – هذا إن وجدت.

يصور مامادو لمخرجه جاك بلوز الأوضاع المزية التي يعيش فيها أهل بلدته بقوله: "في حينا القصديري (G ملكي)، الواقع على الضفة الشرقية الضاجة من نهر النيجر، لا توجد لنا نوادي أو مقاه شبابية نختلف إليها، لدغدغة أحلامنا وعد جغرافية بوسنا (...) بل حتى مطاعمنا في هذه العاصمة العظيمة (...) تجدها على قارعة الطرق وأرصفة المباني الحكومية والوزارات، تطبخ للجوعى بالحطب ويجلس زبائنها الكرام، على مجسمات الأحجار

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع،: ص 70.

[2] – المصدر نفسه: ص 56.

المكعبة وجذوع الأشجار الأسطوانية، بدل الكراسي!!" لا وجود لمطاعم، لا لنوادي ومقاهي للترفيه ونسيان قسوة قدرهم، الغريب في الأمر أن هذا حال عاصمة لدولة وليس قرية صغيرة تابعة لمدينة ما.

حتى وسائل الاتصال لديهم شبه منعدمة حتى قاعة الانترنت الموجودة وحسب وصف مامادو لها " لا أستطيع قول مقهى الانترنت!! لست ساهيا، أبدا بالله عليك سيدي المخرج..... كيف يطلق هذا المكان، اسم "Cyber Café" مساحتها لا تتعدى تسعة أمتار مربعة، ألقيت في جوفه شكل غير متناسق، أجهزة كمبيوتر فالشبكة تكاد تنعدم لضعفها الشديد، لذا يستغرق الشخص لإرسال أو تلقي رسالة ما الساعات، معاناة وتخلف عظيم يعيشه الرجل الأسود في الجنوب الإفريقي، فكل وسائل العيش المتواضع فقط منعدمة، والدليل على ذلك مامادو ويذكر أن أخته "تغسل الأواني بالتراب والماء، لا صابون لدينا ولا هم يحزنون!! استعماله، القليل كان للملابس فقط، لن نعهده إلا خلال السنين الأخيرة، لازلت أذكر عندها كنت صغيرا، حيث ذهبت مع والدي لجلب الطين الأبيض، الذي كنا نغسل به ملابسنا، من مغادرة، من قيمة الإنسان الذي لا يقوى حتى على إعالة نفسه ناهيك عن عائلة كاملة. فكيف لفرد فتح عينيه على هذا الوضع أن يتقدم، ويكون، سدادا الديون أولا، بناء بيت متواضع... مسقف بالزنك بدل أعواد شجر العضاه (الطلح والأكاسيا) شراء دراجة نارية (YAMA HA) أجد في ركوبها، وصلا سريعا للمدينة المجاورة، ابتغاء فتح بوتيكة صغيرة بسوقها الشعبي" هذه أكبر أحلام وطموحات أي فرد من أفراد المجتمع الإقريقي فكيف لا وهو لا يجد حتى قوت يومه، ومكانا بسيطا يأوي إليه، ولا مكانا يرفه فيه عن نفسه، ولا مستشفى يشفيه منعلل حسمه المصوص.

يعتبر اللاأمن الاقتصادي، والغذائي، والصحي، أكبر وأهم الأسباب التي تدفع إلى التفكير في الهجرة السرية، فالمجاعة والأمراض والأوبئة والفقر وقلة فرص العمل وكثرة عدد السكان والبطالة، توجد في دول جنوب إفريقيا بنسب خيالية. فحالة الفقير في دول الشمال لا

يمكن مقارنتها بتاتا بحالة الفقير في الجنوب الإفريقي، وذلك لوجود فوارق جهة على جميع المستويات، والطريق في الأمر أن المخزون الطبيعي، والثروات الطبيعية التي تتمتع بها الدول الأفريقية لا تتمتع بها دول الشمال، والمقصود بذلك وجود أجود وأغلى المعادن مثل: اليورانيوم، والذهب، وخاصة الألماس إضافة لغناها بالثروات الطبيعية كالمانغاو، الأناناس، والكاكاو، والبن (...)، وغيرها من الثروات التي يمكن من خلالها إنتاج كم اقتصادي هائل ينافس الدول الأخرى ويطور البلاد ويخرجها من الوضع المزري الذي يعيشه أفرادها، إذ أنه في هذه الدول استعماله يكون بالسلب فهو أساس النزاع والحروب والانقلابات، وبذلك عدم الاستقرار السياسي، عانت الشعوب تلك الدول سنوات وقرون من الظلم، واضطهاد السلطة. تؤدي الصراعات السياسية، وتظم الحكم الجائرة إلى هروب نسب كبيرة من المواطنين إلى الدول المجاورة الأكثر ديمقراطية أو التي يشيع فيها الهدوء والسلام "الحروب الدولية والحروب الأهلية تأتي على رأس قائمة الدوافع السياسية التي تؤدي إلى الهجرة إلى بلد آخر حيث الأمن والاستقرار، فإذا لم يفتح هذا البلد حدوده لهؤلاء المنكوبين الفارين من جحيم الحروب بطريقة مشروعة فلا خيار أمامهم سوى الهجرة غير المشروعة مهما كانت العواقب".[1]

فهم قد وجدو أنفسهم داخل دوامة من الصراعات المتسلسلة التي ما تنفك تنتهي تبدأ من جديد. سمع مامادو العديد من القصص من المهاجرين الذي كانوا معه على متن الشاحنة في الصحراء الكبرى وقد كانوا من جنسيات مختلفة "قبل عامين، كنا صباحا بمدينتنا "دياس" عندما سمعنا دوي انفجارات قوية ومرعبة، دون أن نجمع أداوتنا أو يأمرنا الاستاذ بالخروج، حتى هو سبقنا بالهروب والله!! أصابني هلع شديد، فقدت رشدي بعدها، خرجنا مشتتين للشارع العام... خوق شديد بين الأهالي، دوي الانفجارات في كل مكان!! غاب عني

[1] – واثق عبد الكريم حمود: موقف الاتحاد الأوروبي من ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الافريقية)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة تكريت،العراق، (د ع)، (لا ت)، ص 359.

طريق البيت، وحدت نفسي أجري أجري... لحقا بمن كانوا يتسابقون أمامي... كانت القنابل خلفنا تزداد قربا!! قطعنا مسافة كبيرة دون أن نشعر بالعياء أو نحس بالجوع، مدة يوم كامل ونحن نجري دون أن ننتبه..."[1]شعب مقهور منذ ولادته، ينمة وهو حامل لبذرة الظلم والقهر والطبقية، حتى يصل لدرجة أنه لا يعطي أي اعتبار لقيمته كإنسان، لا يرى بينه وبين الميت فرق. فمن جراء هذه الحروب يتشتت ويتفرق مئات وألاف العائلات، ويقتل العديد منهم كذلك مثل ما سرد آخر لـ مامادو "عشنا حربين أهليتين!! أتتا على الأخضر واليابس، الأولى يا رفيقي انطلقت سنة 1989، استمرت حتى 1996م ، راح ضحيتها زهاء "25000" شخص، شرد أكثر من "70000" شخص كذلك، هاجم فيها "تايلور" على العاصمة مونروفيا وأطاح بنظام "صمويل دو"[2] رقم ثقيل جدا، عانت تلك الشعوب الكثير جراء تلك الحروب لا سيما آثارها من التهجير القصري والنزوح نحو دول الجوار، هذا واقع مر عاشته و مازلت تعيشه دول ساحل الصحراء، فرغم القصر المادي وبذلك المعنوي صف إليه الحروب، والانقلابات، والأمان، فسبب كل الظروف المتقلبة أصبحت تلك المناطق من أخطرها في العالم، لأنها تحولت مهد الجماعات الإرهابية، ويواصل المهاجر الهارب من الحرب سرد حكايته لمامادو فيقول: " أما الحرب الأهلة الثانية يارفيقي ...فقد بدأت بعد ثلاث سنوات من إعلان وفق اطلاق النار الأولى، أي سنة 1999، بعد ما قامت مظاهرات ثائرة ضد نظام المركز، بمباركة من الجارة الشمالية غينيا، حيث استمرت هذه الحرب الملعونة حتي سنة 2003، لتطيح أخير بنظام الدكتاتوري تايلور، راح ضحية هذه الحرب القذرة، أزيد من "400000" شخص وتشريد أكثر من "800000" شخص آخر" [3]

جور الحكام وقمعهم هو أساس محنة دول جنوب إفريقيا، فأغنياء تلك الدول تنعدم لديهم الإنسانية، لا يعرفون للرحمة مكانا، فلو صلح حكمها لما كان شعبها في تلك الحالة.

---

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 141.

[2] – المصدر نفسه: ص 133.

[3] – المصدر نفسه: ص 133.

فالدولة هي التي تحتوي شعبها، وتمن لهم الأمن والسلام والصحة والغذاء.

لا شيء بجمع بين أغنياء وفقراء تلك الدول سوى منظر القمامة والقمامة الأوساخ على الأرصفة من أبرز الأشياء التي تستقبل بها المولاة (نيامي) زائريها، فأي زائر لمدينته من مدن الجنوب الإفريقي كل ما يمكنه أن تصوره عيناه هي " الحالة العامة للحي، بيوت طينية بائسة، مغطاة بأعواد الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان دون استثناء... أطفال نصف عراة، نساء صامرات، شيوخ خصاص، أشياء لا تخطر على البال".[1] كل شيء يوحي بالبؤس والفقر والحاجة والحرمان، لذا فمن المستحيل أن يتحمل العيش في هذه الأوضاع إنسان من ذوي البشرة البيضاء الذي يمقت الرجل الأسود.

أكثر ما زاد على الحال هو الأمراض الخطيرة التي يعاني منها شعب القارة السمراء، إذ أن "الحق في الصحة هو من الحقوق الأساسية التي تعترف بها الشرعية الدولية لحقوق الإنسان وتحميها"[2] إلا أن الرجل الأسود الأفريقي محروم منها، فهو لا يتمتع بأي حق من حقوق الإنسان وتحميلها"[3]، لا حق الغذاء ولا حق الصحة، ولا حق الأمن، ولا حق الانتقال!! فكيف لهم أن لا يفكروا في الهجرة إلى البلد التي يسمعون أن الإنسان هناك يعتبر إنسانا، والبلد هناك بلد وليس فتات أو بقايا بلد، فكيف سمى بلد ومامادو يذكر: "عاصمتها. عزاها الله لا يوجد بها قنوات الصرف الصحي، هل رأيت سيدي عاصمة بلا صرف صحي، صدق أو لا تصدق، هذا لا يهمني، هي الحقيقة بلا مساحيق تجميلية أو عطور باريسية كما عندكم..."[4] فهذا هو ما يفسر ظهور تلك الأمراض الغربية والخطيرة التي تفتك بأجسامهم الممصوصة مثل: الكوليرا، المالاريا، الايبولا (...) إلخ.

---

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 20.

[2] – المصدر نفسه: ص 23.

[3] – منصوري رؤوف: الهجرة السرية من منظور الأمن الانساني، مرجع سابق، ص 87.

[4] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص 54.

تتعايش القمامة والتلوث مع الرجل الإفريقي كأنهافرد من أفراد العائلة وبسبب الموقع الجغرافي لدول ساحل الصحراء مثل: دولة مالي، والنيجر لا تطل على البحر، أي ليس لديهم مكان لرمي النفايات، لذا فيكلف نقلها عبر دول الجوار للبحر المتوسط أو المحيط مبالغ باهضة تأخذ من خزينة الدولة ما يزيد على عاتق الشعب ثقلا.

ما أجبر مامادو ورفاقه للتفكير بالهجرة السرية هي حالتهم وحالة أسرهم الضنكة، فمامادو يقر أنه دون وعي منهم تغلغلت الفكرة في رؤوسهم "دون أن نشعر نحن الرفاق الأربعة وجدنا أنفسنا نناقش سبل الخلاص من واقعنا المسدود لقد أضحت أخبار الهجرة نحو الالدزرادو ، حتى انتابتنا حالة من الهوس الهستيري بجمع الأخبار الاعلاميةعن رحلة مسار صحراء التهريب، المليئة بأخبار الموت والتيه وحيل اجتياز الحدود بلا جواز أو تأشيرة، فضلا عنا لتاريخ العريق لسقوط الموتى والكسرى من أعلى السياج الشاهق، ناهيك عن الرقم الثقيل للغرضي في عرضالبحروسماع قعقعة خشب القوارب اثناءذلك الغرق سيدي المخرج". 1بعد أن قرر الرفاق الهجرة كان محفزهم الأكبر على ذلك القرب الجغرافي لأوروبا بحيث "تتجاوز المسافة بين شمال إفريقيا (المغرب مثلا) وأوروبا والمغرب الأقصى والجزائر، وتونس ما جعلهم الوجهة الأولى والوحيدة للمهاجرين غير الشرعيين بـ الحراقة لأنهم وبمجرد دخولهم إلى أوربا أو أي بلد آخر يقومون بإحراق أوراق هو يتهم أملا في حياة جديدة مع هوية جديدة في الدول المقصد أما الأفارقة في الجزائر فبمجرد وصولهم لأرض الجزائر يصبح يسمون بـ ليكاماردا.

2-التحديات والمخاطر التي يعانيها المهاجر الافريقي:

بمجرد التفكير في الهجرة يعمل الرجل الافريقي على تقصي أخبار الهجرة، إما من خلال شخص عاد من المهجر، أو عن طريق الشبكة العنكبوتية، أو الهاتف النقال، وهم

يهاجرون في مجموعات يترأسها فرد حذف وفطن، وعارف أو كما وصفة مامادو "أن يكون الرفيق الكامارادي عرف دروب الهجرة وهوامشها.....أي:

دخل القبر وعاش البرزخ فيه.....

جاءه البعث.....

شاهد النفخ في الصور.....

حضر المحشر.....

مر على الصراط

زار مدن الأحلام

خالط هامش مدن الضواحي كثيرا ....

وأخيرا حضر الرجة الكبرى....[1]

فمن يقود المجموعة الكامارادية هو المسؤول عن التفاوض مع المهربين، وتجار البشر، وغالبا يكون قد قام بالهجرة عدة مرات لذا يكون قد علم خباياها وأخطارها وهوامشها.

يعاني المهاجر الإفريقي العديد من الأخطار والتحديات التي يمر بها أثناء رحلته، وهذا ليس بالغريب عليه، لأنه قبل المضي في الرحلة يكون على علم بما ينتظره من مصاعب وأموال وهذا ما يؤكده دودو بقوله: "عرفنا أن هناك خيرات صعبة لا محيض منها الأول منها، المغامرة مع سماسرة تهريب البشر على الصراط لقطع الصحراء الكبرى وصولا للجارة الشمالية... مع ما يشترط فيه هؤلاء من أثمان باهضة بلا شفقة، على السلعة البشرية

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص29.

المهربة!! ثانيها، قطع مساحة هذه الأخيرة طولا مع شقيقتها الغربية عرضا، بالحافلات والمشي على الأقدام، أثناء التسلل بين حدودهما، بعيدا عن عيون حراس الحدود وهذا لا يخيفنا أو يعيقنا"[1] كل هذا إضافة إلى " المجازفة مع مافيا، قوارب الموت ...من جنوب ضفة المتوسط نحو إيطاليا، مالطا، إسبانيا أو غيرها من شواطئ القارة الشقراء وليست العجوز، كما يزعم من يطلقون عليهم ب(طاما) أهل البرازيط رابعا، أخاله الأهون عندنا، المتمثل في تحيين الفرصة المناسبة، كأعياد الميلاد مثل التي يكون الحراس فيها ثملى وبالتالي اجتياز السياح الآخذ في العلو، بمدينتي سبتة أو مليلية، كان هذا الأخير، لن تسلم منه دون كسر، جرح عميق أو كدمات في أحسن الأحوال"[2] فالمصاعب التي تنتظرهم صعبة للغاية إلا أنهم يصرون على الهجرة لأنها يعانونه في ديارهم أسوء بكثير.

يحضر المهاجرون أنفسهم قبل الهجرة سواء من خلال اللباس والمال وكذلك تحضير جوازات السفر المزورة، وأكثر ما يؤلمهم قبل الرحيل هو وداع الأهل والأحبة فلها وقع خاص عليهم، وهذا ما لاحظه مامادو على رفاقه " كان الوجوم باديا على الرفيقين عسمانو وغاريكو، مقداره يتلبسنا أيضا نحن الراحلين .... ليس من السهولة نسيان عشرة السنوات، تقاسمنا فيها الفقر، الشقاء، المناظر العفنة، الهواء الملوث، تقديد البعوض لأجسامنا المصوصة أصلا"[3] كان وداع مامادو ورفاقه لعائلاتهم صعبا للغاية، بعدما اشترى دودو لأمه وأخته هاتفا نقالا لم يره قبلا، وبعدما دلهم على كيفية استعماله، ودعهم وهو كابت في نفسه قهره وحزنه الشديد لواقعه المر الذي أجبره على مفارقة أحبته يبدأ الزيواني من الصفحة (107) بسرد مسار الرحلة على لسنان مامادو، ومعها تبدأ هوامش الرحلة السرية للأفارقة بالظهور تلك الهجرة غير القانونية المليئة بالمفاجآت والمصاعب، بداية بالتفتيش المتكرر من طرف الشرطة ودرك الحدود إضافة إلى مساومات سماسرة التهريب وتجار البشر ومن بين

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص45.

[2] – المصدر نفسه : ص46.

[3] – المصدر نفسه : ص99.

حالات التفتيش ما ذكره مامادو "صعد الحافلة جندي يلبس بذلة عسكرية، يضع قبعته على رأسه، لم يهتم بالشيوخ، الأطفال ، النساء، كان همه واضحا، أن يتصيد شابا كامارادیا بلا وثائق هوية أو جواز سفر بلا تأشيرة، ليتعشى برشوته مع رفاقه... تأكدت على مسار الطريق، أن الجنود عبر الطريق، يدعون الله سرا وجهرا، أن يبدو من لا وثائق له من رفاقنا ليكاماراد، لاسيما من (بوركينافاسو)، (السنG ال)، (كوت دي Vوار)، (سيراليون)، (ليبيريا)، (الكاميرون) (الكونGو) وغيرهم"[1] هذا هو الواقع فالمهاجرون يضطرون لدفع رشوة في كل خطوة يخطونها للتقدم محو الشمال حتى رجال الأمن لم يسلموا منهم، فيساومونهم، إما بالدفع أو الرجوع إلى بلدهم، وفي أغلب الأوقات يدفع المهاجر كل ما يملك المهم عنده التقدم نحو الأمام، وعدم الرجوع بخيبة أمل مهما كلف الأمر.

كان يرى دودو في كل محطة يصل إليها البؤس والفقر ملتصق بشعبه "جاء أطفال للمحطة، أسمالهم بالية، وجوههم شقية، يطوفون بحفنات التمر التواتي الأحمر اليابس، اشترى واحد من حفنة يد من تمر (تلمسو) الأحمر الغامق، هذا النوع سيدي المخرج.... هو تمر البؤساء في النيجر ومالي، كونه رخيص"[2] الحاجة الملحة والضعف والقلة هي التي تدفع بالأهل لتشغيل أبنائهم رغم صغرهم، سواء في التوسل أو بيع مواد بسيطة، فكيف لطفل تربى في الشارع يترجى المارة ويختلط في مشاكلهم وكما سرد مامادو لمخرجه جاك بلوز بقوله: " كنا ننام على أكل يسير ....مع معمعة الأغنام وقرص البعوض، الذي لايزال يتعقبنا حتى غاية هذا المكان...أما القمامة والتلوث، فهنا مهدها ولن أزيد كلمة أخرى سيدي المخرج"[3] من هوامش الصحراء الإفريقية كذلك خبايا بيع البنزين والمازوت الجزائري المهرب، وذلك من خلال قارورات وخزانات صغيرة، فالتهريب منتشر كثير في الصحراء خاصة الحدود الجزائرية الجنوبية، كل هذا يزعزع الاقتصاد الجزائر هي مدينة عين قزام الحدودية،

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص108.

[2] – المصدر نفسه : ص110.

[3] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص148.

وقد حصل لهم أثناء الطريق مفاجآت عدة كانت ستأدي بهم إلى التهلكة خاصة حادثة تعطيل الشاحنة في الصحراء التي رماها دودو بكل تفاصيلها " قضينا يومين، نقتصد في الماء ونتقشف في الزاد القليل، أصبحنا على شفير الموت!! في مثل هذه الحالات ...كلما مرت الساعة يزداد معها القلق ورهاب الموت!! في اليوم الثالث من محنتا، نفذت المؤنة ونفذ معها الماء.... أصبحنا على حافة الموت!! في هذه الحالات... كلما مرت الساعة يزداد معها الماء... أصبحنا على حافة الموت حقا...أمرنا بعدها السائق بشرب بولنا!! فعل البعض ذلك"[1] واقع مر لا يخطر على بال، معاناة كبيرة، قهر أعظم حياة بائسة بكل معنى الكلمة يعيشها المهاجر للوصول إلى الجزائر وما بعدها، والأمر من أنهم بوصولهم إلى البلد المقصد ينبذون ويهمشون أكثر، سواء خلال نظرات الازدراء أو الأفعال المستفزة أو حتى الطرد المباشر، إلا أن مامادو وبفضل تعويذة أمه التي أوصته بها، ومباركة يوم الجمعة له، فقد كان يخرج من أي مأزق بمجرد مصادفته له، والفوضى، ودخولها في الحياة العملية قبل أوانه بكثير، أن يكون فردا صالحا مساهما في ازدهار وطنه؟ فعمالة الأطفال أكبر الأخطاء التي يجب على الدولة مكافحتها، وايجاد حلول سريعة للقضاء عليها.

كان الانتقال من مكان لآخر أثناء فترة الرحلة بواسطة سيارات رباعية الدفع أو الشاحنات، وبطبيعة الحال بما أنها رحلة غير قانونية فهي من اختصاص تجار البشر، وهذا لا يكون بالأمر السهل، فالحصول على واحدة منهم يكون بعد مفاوضات وانتظار لساعات وحتى لأيام وأسابيع وهو ما حدث ل مامامدو ومن معه في الصحراء " قضينا يومين في العراء نتصهد نهار ونبلى ليلا...ننتظر سيارة أو شاحنة تقنا لمدينة أرليت وهناك لنا حكاية أخرى!! حتى جاء صباح اليوم الموالي قدمت فيه شاحنة حمراء داكنة محملة بالأغنام/ (Man) الألمانية، تحمل ترقيما جزائريا، (...)، مر اليوم الثالث، الشاحنة لم تقلع، فهما أن صاحبها يريد شحنة أخرى من البشر، نتضاف إلينا، تعدادنا يربو عن العشرة ولا يصل

[1] – المصدر نفسه : ص146.

العشرين، كل هذا الخلق.... وأهلما يتوسمون الزيادة"[1] سبب الهجرة غير الشرعية من الأصل هم تحار البشر، فهم أناس لا رحمة في قلوبهم مصلحتهم فوق كل شيء يسري الطمع والجشع في دمائهم، لا يرأفون بحال الضعفاء يستغلون حالة فقرهم وحاجتهم الملحة للهجرة لتغيير وضعهم، ورغم هذا يبقون فيها على ظهر الشاحنات ليلا نهارا فوق بعضهم البعض أكواما أكواما رغم شمس الصحراء وبرد ليلها صنف إلى ذلك رائحة المواشي والأبقار التي تكون معهم زيادة على عددهم الكبير.

«يوم الجمعة هو يوم السعد عندي فيه سهل الله لي بيع بقرتنا "بكتو" وفيه اكتمل نصاب الشاحنة التي أقلعت بنا من مدينة "أGادز" وها هو ينقذنا من الموت»[2] يذكر مامادو فضل يوم الجمعة هو يوم المبارك في كل مشكلة يخرج مها تصادفه كما نجده في الصفحات (116، 148، 251، 286) من الرواية.

كل بقعة من الجزائر يصل إليها ليكاماراد هي حلم بالنسبة إليهم لذا عين قزام يدعونها ب مرسيليا ليكاماراد، وطاما هي باريس ليكاماراد، وأدرار هي روما ليكاماراد، «(ها نحن في باريس ليكاماراد يا رفاق... حلم كل إفريقي كامارادي مهاجر) قال لنا أليكس»[3] بسبب الاختلاف الكبير في مستوى التطور المتجلى في المنشآت العمراني، والنظافة، والصحة، ووسائل الترفيه، خاصة وجود فرص العمل (...)، لذا فهم يرون في كل واحدة منهم الجنة التي يفتقدونها والتي ينتمونها، إضافة أنهم بوجودهم فيها من خلال اشتغالهم في ورشات البناء يكسبون المال الوفير، في حين يعزف شباب البلد عن العمل في تلك الورشات.

[1] – الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، ص115.

[2] – المصدر نفسه : ص 148.

[3] – المصدر نفسه : ص146.

الخـــاتمــة

الخـاتمـــة:

خلاصة القول يمكن القول أن مهما سعينا إلى الإلمام بهذا الموضوع والوقوف على نقاطه الأساسية فإنه دون شك نجده يحتاج إلى اضافات وايضاحات كثيرة كما أننا لا نؤمن بنقطة النهاية في البحث بصفة عامة والنص الأدبي بصورة خاصة فقد تكون هذه النتائج التي توصلنا إليها من خلال قراءتنا لهذا الموضوع ما يأتي :

- إن رواية "كامارد" إضافة فنية وجمالية للسرد الروائي الجزائري والعربي تميزت بتوظيف سرد مزج بين الواقع المتخيل بين الإنسان الإفريقي وثقافته وبين مغامرة بحث حياة "كامارد"
- رواية كامارد رواية مكان بامتياز، ليس لأن الراوي وظف جزاء كبيرا منه في سرد لرصد التفاصيل المكانية وإنما لكونه عمد كذلك للتنويع في عرض الأمكنة أي انه لم ينغلق على رؤية مكانية محددة وهذا ما نلمسه عبر التنقل الواضح لشخصياته من مكان لأخر
- استخدام رموز وتصوير الواقع الإفريقي من الناحية الثقافية وتعليمية والتفكيرية لشخصيته الإفريقية .
- براعة في التدقيق وابراز اسباب الهجرة في تصوير الأبعاد الاجتماعية في مجتمع افريقية
- يصور الراوي ابعاد عن شخصيات في رواية التي تتجلى زوايا في البلد الإفريقي مع احتفاظ بجمالية البلد المعاش فيها كامارد .
- برزت اللغة عند الروائي كوعاء يحمل فيه احاسيسه وافكاره واستخدامها بطريقة سردية تخدم البيئة في اسلوب سهل وبسيط مع اعتماد اللغة الثقافية المعرفية لوصف بعض العادات والتقاليد لبعض الأماكن وهذا ما يساهم في اضفاء الصورة الجغرافية في افريقيا.
- تعدد الأمكنة في الرواية نظرا لتعدد الأحداث فيظهر لها دور المكان تمثيل البيئة الجغرافية في الرواية .

وخاتمنا بعد تعقيبها صورة في رواية كامارد نجد أن الروائي نجح لحد بعيد في تصوير صور افريقيا جغرافيا ثقافيا واجتماعيا وتجلى ذلك في وصف الدقيق للهجرة والمكان الوارد في الرواية واضفاء جو من الحيوية والحياة في تفاصيلها وبالتالي تم تصوير الصورة للمتلقي عن افريقيا .

الملحـــــــــق

حول الرواية

رواية "كاماراد" رفيق الحيف والضياع الصادرة عن دار فضاءات الأردنية الطبعة الأولى 2015 للروائي حاج أحمد الصديق الملقب بالزيواني.

تحكي رواية "كاماراد" عوالم الهجرة السرية وعلوم الصحراء وهواجس من الرجل الإفريقي ذو البشرة السوداء وقضايا الهجرة الغير شرعية وهوامش الأفارقة في تحقيق حلم الهجرة إلى فردوس أوروبا في طريق محفوف بالمخاطر والانكسارات والمتاعب والتيه والموت.

تبدأ أحداث الرواية تخيلية مع المخرج الفرنسي "جاك بلوز" الذي شارك في مهرجان "كان" السينمائي حيث " منى نفسه بالسعفة الذهبية لهذه الطبعة دورة ماي 2012 من خلال فيلمه الأسطوري مغارة الصابوق" إلا أن حلمه لم يتحقق فقرر البحث عن موضوع جديد ومختلف لفلمه، ورأى أن الهجرة السرية للأفارقة قضية بهذا الحلم، والسفر إلى نيامي بالنيجر والبحث عن "كاماراد حرا" جرب المسالك الوعرة للهجرة ووصل جنة المأوى أو خفق ....عرف دروب الهجرة وهوامشها" وكان من حسن حظه أن "ماحاجو هذا الأخير قبل يوم واحد من رحلته الخائبة إلى الفردوس بعد إخفاقه في اجتياز سياج سبته الإسبانية، فيلتقي به ويعرض عليه مكانته لو أنه حكى له قصته رحلته نحو الفردوس الأوروبي.

قسم البطل حكايته إلى فصول:

في القبر: /مرحلة فقره بالحي الشعبي قكميلي

البعث:/ مرحلة فكرة مجيئ فكرة الخلاص (الهجرة)

النفخ في الصور:/ فترة إقناع أمه بيبع بقرة العائلة بقية المصدره الوحيد للرزق ليتزود بثمنها في سفره.

المحشر:/ خروج الرفاق ووداعهم.

على الصراط:/ المرحلة التي قطعها مع المهربين بالصحراء، كما نعت المدن التي مر بها في رحلته بمدن الأحلام، فعين قزام (مارسيليا ليكاماراد)، تمنراست (باريس ليكاماراد)، أ درار (روما ليكاماراد)، مغنية (مالطا ليكاماراد)، وجدة (قبرص ليكاماراد)، أما الفصل الأخير المتمثل في مرحلة تخطي الحواجز الفاصلة بين إفريقيا وأوروبا فعبر عنه بالرحلة الكبرى.

"مامادو" شخصية نيجيرية محورية يسكن حي" G ملكي" "أفقر في العاصمة" رفق أمه "سلاماتو" وأخته" زينابو" ورفاقه الذين في الهجرة معه نحو "دار الخلد الأوروبية" فهو يرى بأن "الفردوس رهين المغامرة والموت" هروبا من الواقع المسدود والمجاعات والأوبئة والحروب والأمراض بحثا عن الحرية وتحسين المعيشة بعيدا عن الإهمال في دول جنوب إفريقيا.

تنطلق رحلته بالنيجر نيامي نحو فردوس الشمال، سالكا أصعب الظروف في أرض العالم النفجي بجواز سفر مزور، هي رحلة مليئة بالضياع والحيف والعذاب والمغامرة التي تبتدئ مع سماسرة تهريب البشر على الصراط لقطع الصحراء الكبرى وصولا للقارة الشمالية مع ما يشترط فيه هؤلاء من أثمان باهظة بلا شفقة على السلعة البشرية المهربة!!

في سبيل تحقيق أحلامهم لينتحل هوية أخرى مسيحية مالية تدعى كوليبالي طيلة تواجده بأرض الجزائر، ليعبر به تمنراست إلى توات ثم معنية، وصولا إلى الحدود المغربية "بالحافلات والمشي على الأقدام أثناء التسلل بين حدودها بعيدا عن عيون حرس الحدود" ليصل إلى مدينته الفنيدق نحو سبتة الإسبانية لعبور سياج شائك، آخذ في العلو طوله 9 أمتار للوصول إلى جنة الأحلام في ليلة أعياد الميلاد ليسقط أخيرا في يد الحرس المغربي بعدما ضاعت منه مخلصته تمتمه باونكي التي أعطتها له أمه كحجاب من كل ضيق (جره بالطائرة إلى بلده بعد رحلة دامت ستة أشهر أقل ما توصف به أنها شبه قاسية وميتة.

وفي الأخير حاول الروائي أن يقدم حلولا للهجرة الغير شرعية للأفارقة عن طريق منح المخرج للبطل "مامادو" كاميرا ..... بغية أن يخرج مع رفاقه فيلما وثائقيا نقيا عن الفقر بنيامي وسيقوم هذا المخرج بالترويج لهذا العمل في صفحته على الفيسبوك ويقول:

"[يأيها الشمال القانط من الجنس الكامارادي الزاحف

أيها الجنوب العربي المتنمر من عبور شعب ليكاماراد

لا حل لنا من أخطبوط الهجرة....إلا خلق فرص نشاط تثبت هؤلاء

المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم...

لن ولن نوقف هذا التدفق المريب، إلا بفعل ذلك.....]

قـــائمـــة المصادر المراجـــع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. رواية كامارد رفيق الحيف والضياع، أحمد زيواني،2016.

المراجع العربية:

1. مصطفى الضبع، استراتيجية المكان في جماليات المكان في السرد العربي، 1998، الهيئة عامة لقصور الثقافة كتابات نقدية شهرية،.

2. عبد اللطيف الزكري، وظيفة الصورة، 2016، عمان.

3. شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا، دار الزهراء– الرياض، 2002.

4. مسعود الغوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج2، ط 3، لبنان، الشركة العالمية الموسوعات، 2005.

5. كلثوم مدفن، دلالة المكان في رواية هوس الهجرة إلى الشمال.

6. وردة سلطاني، التشكيل المكاني في النص الثوري. نموذجا .

7. جمال عبد الهادي محمد مسعود: إفريقيا، جامعة أم القرى.

المذكرات:

1. فلة قارة، ليندة لكحل، بنك الشخصية والمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، مذكرة لنيل شهادة ماستر أدب، جامعة منتوري قسنطينة، ماي، 2011.

2. طيب سعيد، دور الهجرة في التغيير الثقافي والاجتماعي، رسالة ماجستير، قسم جغرافيا، جامعة خرطوم، 2001.

3. منصوري رؤوف: الهجرة السرية من منظور الأمن الانساني، مخطوط رسالة ماجستير في القانون العام، كلية الحقول والعلوم السياسية، جامعة سطيف، الجزائر، 2013م، 2014م.

المقالات والمواقع الالكترونية:

1. صحيفة صوت الأحرار، وهيبة منداس، 11 مارس 2016.
2. الخلاص من الفقر آراء من إفريقيا، الضياع الإقليمي الإفريقي العاشر، تقرير، ديسمبر 2003، إفريقيا، أمين أسير، دار دمشق ط 1985.
3. تقييم إطار سياسة الهجرة في إفريقيا تابع للاتحاد الإفريقي

4- المجلات:

1. حافظ صبري: الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، العدد يوليو 1984.
2. حنفى بن عيسى : الثقافة، مجلة وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، العدد 47، 1978.
3. واثق عبد الكريم حمود: موقف الاتحاد الأوروبي من ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الافريقية)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة تكريت،العراق، (د ع)، (لا ت)..

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: صورة إفريقيا جغرافيا	
الصورة الجغرافية لإفريقيا	**4**
أولا: الأماكن المفتوحة:	**7**
1- المدن	**7**
2- الشوارع والأزقة	**8**
3- الأسواق	**9**
4- الأحياء الشعبية	**11**
5- أليكس	**12**
ثانيا: جماليات الأمكنة	**12**
ثالثا: الأماكن المغلقة	**16**
الفصل الثاني: صورة إفريقيا ثقافيا واجتماعيا	
الصورة الثقافية لإفريقيا	**19**
الصورة الاجتماعية لإفريقيا	**22**
1-أسباب هجرة المهاجر الافريقي:	**23**
2-التحديات والمخاطر التي يعانيها المهاجر الافريقي:	**31**
الخاتمة	**38**
الملحق	**41**
قائمة المصادر والمراجع	**45**
فهرس المحتويات	**47**
الملخص	

الملخص:

في رواية كاماراد – رفيق الحيف والضياع – ما يستحق القراءة المتأنية، بالنظر إلى الأجواء الجديدة التي يرى عليها الروائي الصديق حاج أحمد إننا أمام عوالم يتداخل فيها الواقعي بالسحري والخرافي الأسطوري، الملمح العام الذي يسم بعض البلدان الإفريقية التي تتمازج فيها الأشياء مكونة ما يشبه الحقيقة الوهمية.

لقد بذل الكاتب جهدا استثنائيا، في التنقيب عن العادات والحالات الثقافية والمعجم والمعتقدات المتواترة، ليقدم صورة ذات أهمية متقدمة، بالعودة إلى قلة النصوص التي اهتمت بالموضوع في قارة منهكة ومنسية في هامش الوقت، كما يكشف النص عن تفاصيل دقيقة في قوالب فنية راقية وبطاقة سردية متميزة لأنها تمثلت الأجواء والشخصيات والكلمة والعبارة والحالق ، إنها رحلة البحث عن الذات هربا منها أو محاولة للقبض على مستقبل كقوس قزح – قريب ومستحيل – هجرة من بلدان لا توفر لأبنائها سوى الخراب والكذب والحطام والموت رحلة إلى آفاق تصبح فيها الشخصية ضائعة كغيمة الصيف لاهي إلى البر ولا هي إلى البحر، كحال من لا يملك موطنا، يحمل مواصفات الأوطان: ذلك تماما ما ركزت عليه الرواية في التعامل مع موضوع الهجرة غير الشرعية، بمعرفة كبيرة وبوعي يستحق التثمين من حيث أنها أحاطت بالعلة والتفاصيل والمسارات والنتائج.

رواية كاماراد بحث مركب وجهد يتوفر على حكمة وعبقرية قد تكون الطرائق السردية عاملا أساسيا من عوامل انتصاره، نحن في مواجهة عمل فني مهم؛ لأنه عدل عن المتواتر من أجل تحقيق هوية سردية لها سماتها الخاصة بها، كتجربة مستقلة بذاتها.

نص جدير بالقراءة لأنه يقدم نفسه كعمل جاد أسس على جهد ومعرفة بالواقع والتاريخ والنواميس الإفريقية وبالشكل السردي المناسب لموضوع قليل الانتشار في المنجز الأدبي العربي الراهن.

الكلمات المفتاحية: ممادو، كاماراد، إفريقيا، العادات والتقاليد.

Abstract:

In Kamarad's novel - a companion of inferiority and loss - what deserves careful reading, given the new atmosphere that the friendly novelist, Hajj Ahmed, is dealing with, that we are before worlds in which the real is intertwined with the magical and the mythical myth, the general feature that characterizes some African countries in which things intermingle to form something like a fictitious truth.

The writer has made an exceptional effort in exploring customs, cultural situations, lexicons, and recurrent beliefs, to present an image of advanced importance, going back to the dearth of texts that were concerned with the subject in an exhausted and forgotten continent in the margin of time, as the text reveals minute details in elegant artistic templates and with a distinct narrative card Because it represented the atmosphere, the characters, the word, the phrase and the stalker, it is a journey of self-search to escape from it or an attempt to capture a future like a rainbow - near and impossible - migration from countries that provide for their children nothing but devastation, lies, debris and death, a journey to horizons in which the character becomes lost like a summer cloud that does not go to the land. It is to the sea, like someone who does not own a home, carries the characteristics of homelands: that is exactly what the novel focused on in dealing with the issue of illegal immigration, with great knowledge and awareness worthy of appreciation in that it surrounded the bug, the details, the paths and the results.

Kamarad's novel is a complex research and effort that has wisdom and genius. Narrative methods may be a fundamental factor in his victory, we are facing an important artistic work; Because he modified the tattoos in order to achieve a narrative identity that has its own characteristics, as an independent experience in its own right.

A text worthy of reading because it presents itself as a serious work based on effort and knowledge of African reality, history and laws, and in the appropriate narrative form of a topic that is not widespread in the current Arab literary achievement.

Key words: Mamadou, Camarad, Africa, customs and traditions